

# وَهُمُ الْيَقِينِ

رحلة في الخوف الذي نسميه يقيناً



وديع طعمة

# "وهم اليقين"

رحلة في الخوف الذي نسميه يقيناً

وديعة طعمة

<https://wadehtohmeh.com/>

## حين لا تكون الحقيقة كما تظن!

ماذا لو كانت الحقيقة التي تدافع عنها... هي نفسها الشيء الذي يمنعك من رؤيتها؟!

ماذا لو كان يقينك، الذي تبني عليه كل شيء، ليس نتيجة فهم حقيقي، بل نتيجة خوفٍ تمّ تزيينه بعناية ليبدو كمعرفة؟!

المشكلة ربما ليست في أنك لا تعلم، بل في أنك تعتقد أنك تعلم! في تلك اللحظة التي يتحول فيها الشعور بالوضوح إلى حاجز، لا نافذة! حين لا تعود ترى الواقع كما هو، بل كما يسمح لك يقينك أن تراه!

نحن لا نولد مؤمنين، ولا ملحدين، ولا حتى باحثين عن الحقيقة! نولد خائفين! عراة أمام عالم لا يشرح نفسه، ولا يقدم ضمانات، ولا يمنحنا تلك الطمأنينة التي نبحث عنها بشراسة طوال حياتنا! وهذا الخوف لا يريد تفسيراً بقدر ما يريد ملجأ! لا يسأل "لماذا"؟! بقدر ما يبحث عن "كيف أهدأ"؟!

ومن هنا تبدأ القصة؛ ليس من السؤال، بل من الهروب منه! ليس من

الشك، بل من الرغبة في خنقه قبل أن يتكلم!

يُقال لك: هذه هي الحقيقة! فتسأل: لماذا؟! فيُقال لك: لأنها كُتبت! وكأن

الكتابة تمنح الفكرة حصانة، وكأن النص يتحول فجأة إلى شيء لا

يُمس!

ثم يُطلب منك أن تشعر بالطمأنينة، لا بالشك! أن تسلم، لا أن تفهم! أن

تصمت، وكأن الصمت شكل من أشكال الحكمة! وهنا يحدث الانقلاب

الصامت الذي لا ينتبه له أحد تقريباً!

يتحول النص من فكرة إلى سلطة، ومن سلطة إلى مرجعية، ومن مرجعية

إلى شيء لا يُسأل! ليس لأنه أجاب، بل لأنه أغلق باب السؤال! ليس لأنه

أقنع، بل لأنه جعل الشك يبدو خطراً يجب تجنبه، لا أداة يجب

استخدامها!

وهكذا، لا يُبنى الإيمان على ما يثبت، بل على ما لا يُسمح لك أن تشك

فيه! وهنا تحديداً تبدأ الخدعة الحقيقية! لأن العقل لا يتوقف فجأة، بل

يُدرَّب على التوقف! يكافأ حين يصمت، ويُخيف حين يسأل، ويُقنع

تدرجياً أن النهاية أفضل من الرحلة!

تدرجياً، يتعلم العقل حيلة غريبة: أن يتوقف ويظن أنه وصل، أن يصمت ويظن أنه فهم! لكن ما يسميه "وصولاً" قد لا يكون إلا استسلاماً، وما يسميه "فهماً" قد لا يكون إلا تعباً متنعراً في شكل يقين! وهنا تبدأ أخطر علاقة في حياة الإنسان: علاقته مع اليقين! اليقين ليس دائماً نتيجة معرفة، بل غالباً نتيجة إغلاق مبكر للأسئلة! لحظة قال فيها العقل: "كفي"! ليس لأنه اقتنع، بل لأنه لم يعد يحتمل!

وكلما كان السؤال أكثر إزعاجاً، كان الإغلاق أكثر قداسة! وكلما كان الشك أعمق، كان الهروب منه أكثر إقناعاً! في هذه اللحظة، لا يعود الإيمان خياراً، بل يتحول إلى ضرورة نفسية!

شيء تحتاجه، لا لأنه صحيح، بل لأنه يمنعك من السقوط في فراغ لا تعرف كيف تعيش فيه! الإيمان هنا لا يعمل كإجابة، بل كجدار! جدار يفصل بينك وبين أسئلة قد تدمرك إن واجهتها دون حماية!

وهنا يتغير السؤال بالكامل؛ لا يعود: هل تؤمن؟! بل يصبح: ماذا سيحدث لك إن توقفت عن الإيمان؟! هل ستفقد المعنى؟! هل ستنهار؟! هل ستكتشف أن كل ما بنيته كان قائماً على أرض غير ثابتة؟!

هذه النصوص لا تحاول أن تسحب منك إيمانك، ولا أن تمنحك بديلاً مريحاً! هي تفعل شيئاً أكثر إزعاجاً: تضعك وجهاً لوجه، ليس مع أفكارك، بل مع الحاجة التي تختبئ خلفها!

تحاول أن تكشف لك أن ما تدافع عنه بشراسة، قد لا يكون لأنه صحيح، بل لأنه الشيء الوحيد الذي يمنعك من الانهيار! وهنا، لا يصبح الهدف أن تغيّر ما تعتقد، بل أن تفهم لماذا تعتقد أصلاً!

أن ترى الآلية، لا النتيجة! أن تفهم الدافع، لا الشعار! لأن أخطر ما يمكن أن يحدث للإنسان، ليس أن يؤمن بفكرة خاطئة، بل أن يعيش داخلها دون أن يعرف لماذا دخلها!

أن يدافع... دون أن يفهم عمّا يدافع فعلاً! أن يطمئن... دون أن يعرف ماذا يهدئ داخله!

وهنا تبدأ الرحلة؛ ليست رحلة نحو الحقيقة، بل رحلة أكثر خطورة: رحلة نحو تفكيك ما تسميه "حقيقة"! رحلة نحو زعزعة الأرض التي تقف عليها، لترى إن كانت أرضاً فعلاً... أم مجرد خوفٍ تعلم كيف يقف بثبات!

قد لا تعطيك هذه الرحلة إجابات مريحة، وربما لن تعطيك إجابات أصلاً، لكنها على الأقل ستمنحك شيئاً أكثر ندرة: أن لا تكذب على نفسك! وهذا... ليس قليلاً!

## الحاجة إلى اليقين!

الإنسان لا يبحث عن الحقيقة كما يحب أن يتخيل! هذه واحدة من أكثر الأكاذيب أناقةً في تاريخ الوعي! هو يقول إنه يريد أن يعرف، لكن سلوكه يكشف شيئاً مختلفاً تماماً: هو يريد أن يطمئن! ليس لأنه يكره الحقيقة، بل لأنه لا يحتمل تبعاتها!

الحقيقة ليست وعداً، ولا طريقاً مستقيماً يمكن السير عليه بثقة! في كثير من الأحيان، هي شيء مفتوح، مربك، بلا نهاية واضحة! أما اليقين، فهو على النقيض تماماً: دافئ، بسيط، نهائي! يعطيك شعوراً بأنك وصلت، حتى لو لم تصل فعلاً! ولهذا، حين يُوضع الإنسان بين سؤال مفتوح وإجابة جاهزة، فإنه غالباً ما يختار الإجابة، حتى لو كانت خاطئة! ليس لأنه غبي، بل لأنه خائف!

الخوف هنا ليس شعوراً عابراً يمر ويختفي، بل بنية داخلية عميقة تتحكم بطريقة تفكيرنا دون أن نشعر! الخوف من المجهول، من العدم، من فكرة أن هذا العالم قد لا يحمل معنى جاهزاً لنا! لكن الأخطر من ذلك كله هو الخوف من الاحتمالات؛ من أن لا يكون هناك جواب واحد، بل احتمالات مفتوحة لا نهاية لها! هذا النوع من الفوضى لا يحتمله العقل طويلاً، لأنه ببساطة لا يحب "ربما"، بل يبحث دائماً عن "نعم" أو "لا"، عن نهاية حتى لو كانت وهمية!

ولهذا، فإن هذا الخوف لا يُهدأ بالبحث، لأن البحث يوسّع الأسئلة بدل أن يغلقها! بل يُهدأ بالإغلاق، بإعطاء العقل نقطة نهاية، حتى لو كانت مصنوعة! وهنا يظهر اليقين كحل مثالي، لا لأنه صحيح، بل لأنه ينهي القلق! هو لا يفسر بقدر ما يُسكت، لا يجيب بقدر ما يوقف النزيف الداخلي الناتج عن الأسئلة!

وهذا ما لا يُقال عادة: أن كثيراً مما نسميه "حقائق" ليس انتصاراً للعقل، بل هدنة مع الخوف! لحظة يتعب فيها الإنسان من التساؤل، فيتوقف، لكن هذا التوقف لا يظهر كاستسلام، بل كقناعة! وهنا يحدث الخداع الأكبر: يتوقف الإنسان عن التفكير، ثم يقنع نفسه أنه وصل إلى النتيجة! بينما الحقيقة أبسط وأكثر قسوة... أنه فقط تعب!

في علم النفس، هذه ليست حالة استثنائية، بل نمط متكرر! العقل لا يحتمل الغموض طويلاً، لأن الغموض يستهلك طاقته ويبقي التوتر مفتوحاً! لذلك يفضل تفسيراً سيئاً على لا تفسير، وقصة ناقصة على فراغ بلا قصة! وهنا تبدأ المشكلة الحقيقية، لأن أول إجابة تُقنع الخوف لا تُختبر لاحقاً، بل تُحمى!

تتحول الفكرة إلى قناعة، ثم إلى هوية، ثم إلى شيء لا يمكن المساس به دون أن يشعر الإنسان أنه يُمسّ هو شخصياً! وهنا، لا يعود النقاش ممكناً، لأنك لا تتحدث مع فكرة، بل مع نظام حماية نفسي! هذا النظام لا يدافع عن الحقيقة، بل عن الاستقرار، عن الشعور بأن كل شيء تحت السيطرة حتى لو لم يكن كذلك!

ولهذا، حين تهتز الفكرة، لا يشعر الإنسان أنه أخطأ، بل يشعر أنه مهدد! مهدد في توازنه، في معنى حياته، في صورته عن نفسه! وهنا يبدأ الدفاع، لا عن الدليل، بل عن الذات! ترتفع النبرة، تشتد المقاومة، لا لأن الحجة قوية، بل لأن الخوف استيقظ!

ومن هذه النقطة تحديداً، يمكن فهم كل ما سيأتي! لأن الإيمان، قبل أن يكون فكرة، هو استجابة! استجابة لخوف قديم، لقلق لم يُحل، لفرغ لا نعرف كيف ننظر إليه دون أن نشعر بالانهيار! ولهذا، لا يُقاس الإيمان بقوته المنطقية، بل بقدرته على تهدئة الألم!

وهنا، ينقلب السؤال بالكامل؛ لا يعود مهماً أن تسأل: ما الذي تؤمن به؟! بل يصبح السؤال الحقيقي، والأكثر إزعاجاً: ما الذي تخاف أن يحدث...  
لو لم تؤمن؟!

## حين يكتب النص نفسه إلهاً!

هناك لحظة دقيقة جداً... لا ينتبه لها أحد تقريباً! لحظة لا تُعلن عن نفسها، ولا تأتي كصدمة، بل كتحول صامت يحدث داخل العقل دون ضجيج! في هذه اللحظة، يتوقف النص عن كونه شيئاً يُقرأ... ويبدأ بالتحول إلى شيء يُصدّق، حتى دون أن يُقرأ فعلاً!

ليست المشكلة في وجود نص، ولا في أن يحمل فكرة أو رؤية؛ المشكلة تبدأ حين يُمنح هذا النص سلطة لا تأتي من قوته، بل من الطريقة التي يُقدّم بها! حين لا يقول: "هذه أفكارى"... بل يقول: أنا الحقيقة! وهنا، لا يعود النص مجرد طرح يمكن قبوله أو رفضه، بل يتحول إلى إعلان سيادة، إلى كيان لا يقف إلى جانب الأفكار... بل فوقها!

لكن كيف ينجح في ذلك؟! كيف تقبل فكرة أن تكون مرجعاً لنفسها؟!

ببساطة، عبر واحدة من أقدم الحيل العقلية وأكثرها خفاءً: أن يقدم نفسه كدليل على نفسه! أن يقول لك: أنا صحيح... لأنني أقول ذلك! ثم يطلب منك، بهدوء، أن ترى في هذه الجملة دليلاً، لا فراغاً!

وهنا، ندخل إلى ما يمكن تسميته بالدليل الدائري! فكرة لا تُثبت بشيء خارجها، بل تعود إلى نفسها، تدور حول ذاتها، وتقدم هذا الدوران كبرهان! كأن يسألك أحدهم: لماذا هذا صحيح؟! فتجيب: لأنه صحيح! جملة فارغة، لو قيلت خارج أي سياق، لبدت سخيفة! لكن داخل البنية المقدسة، تتحول إلى شيء مهيب، إلى حقيقة لا تُمس!

والسبب ليس في قوة الفكرة... بل في تحصينها؛ في الطريقة التي تُغلق بها على نفسها، وتمنع أي شيء من الاقتراب منها!

النص هنا لا يكتفي بأن يطرح نفسه، بل يحيط نفسه بسياج كثيف من الممنوعات: لا تسأل، لا تشك، لا تقارن! ليس لأنه يملك كل الإجابات، بل لأنه لا يحتمل الأسئلة. ليس لأنه واضح، بل لأنه لا يريد أن يُختبر!

وهنا، يحدث التحول الأخطر: لا يعود الهدف أن يقتنع بك... بل أن يمنعك من أن لا تقتنع! فرق هائل بين الإقناع والمنع! الإقناع يحتاج إلى أدلة، إلى مواجهة، إلى قدرة على الصمود أمام السؤال! أما المنع، فلا يحتاج إلا إلى شيء واحد: الخوف!

وحيث يُزرع هذا الخوف مبكراً، لا يبقى خارجياً، بل يتحول إلى صوت داخلي. صوت يسبق كل سؤال، يوقفه قبل أن يتشكل، يهمس لك بأن الشك ليس بحثاً... بل خطراً!

وهنا، لا تبدأ الفكرة كاحتمال... بل كحقيقة جاهزة! لا تُبنى، بل تُسلم. لا تُختبر، بل تُحفظ! وحين تكون النتيجة معطاة مسبقاً، يصبح التفكير مجرد مسرحية! حركة شكلية للعقل، هدفها ليس الاكتشاف... بل التأكيد!

وهذا ما يجعل الإيمان الدائري قوياً بشكل مخيف! ليس لأنه منطقي، بل لأنه مغلق! لأنه لا يسمح بأي شيء من خارجه أن يلمسه!

كل سؤال يُعاد توجيهه داخل نفس الإطار!

كل شك يُفسَّر كضعف، كل اعتراض يُعتبر تهديداً يجب احتواؤه!

وهنا، لا يُسمح للعقل أن يعمل كما يجب، بل يُطلب منه أن يغيّر وظيفته! أن يتوقف عن البحث... ويبدأ بالدفاع! أن لا يسأل: هل هذا صحيح؟! بل: كيف أثبت أنه صحيح?!

وهذا أخطر تحوّل يمكن أن يحدث داخل الإنسان؛ أن يتحول العقل من  
أداة كشف... إلى أداة حماية! من وسيلة لفهم العالم... إلى وسيلة  
لحماية صورة مسبقة عنه!

في هذه اللحظة، لا يعود الإنسان يفكر ليعرف، بل يفكر ليحمي ما يعرفه  
مسبقاً لا يعود البحث ممكناً، لأن النتيجة لم تعد مفتوحة!

وهنا، ينتهي كل شيء... دون أن يبدو وكأنه انتهى! ينتهي السؤال، دون  
أن يُقتل! ينتهي الشك، دون أن يُقنع! وينتهي العقل... دون أن يشعر أنه  
توقف!

## الخوف... المهندس الخفي!

وراء كل يقين صلب... يقف خوفاً لا يريد أن يرى! ليس خوفاً سطحياً  
يمكن ملاحظته بسهولة، ولا شعوراً عابراً يمكن تسميته والتعامل معه!  
بل هو خوف عميق، وجودي، يعمل بصمت، ويتحكم بكل شيء دون أن  
يعلن عن نفسه!

هو لا يصرخ، لا يقول: أنا خائف! بل يتخفى في صورة منطق، في شكل  
قناعة، في هيئة شيء يبدو بديهياً لا يحتاج إلى تفسير! ولهذا تحديداً،  
يصبح أكثر خطورة! لأنك لا تشعر أنك تهرب... بل تشعر أنك "تعلم"!

لكن، تعلم ماذا؟!

الخوف هنا ليس من فكرة محددة، بل من احتمالات مرعبة في عمقها:  
من أن لا يكون هناك معنى، من أن يكون هذا العالم بلا إجابة نهائية، من  
أن يكون الإنسان... وحده تماماً في كون لا يشرح نفسه!

هذه الفكرة وحدها كفيلة بأن تُربك أي عقل! لا لأنها معقدة، بل لأنها  
مفتوحة! لأنها لا تنتهي! لأنها لا تمنحك نقطة ارتكاز!  
ولهذا، لا تُواجه غالباً... بل يتم الالتفاف حولها!

لكن هذا الالتفاف لا يظهر كهروب مباشر! لا يقول الإنسان: أنا أهرب! بل يحدث شيء أكثر دهاءً؛ يتحول الخوف إلى إيمان، إلى يقين، إلى منظومة كاملة تبدو وكأنها "حقيقة"، بينما هي في جوهرها... حاجز!

حاجز بينك وبين الأسئلة التي لا تملك لها جواباً!

حاجز يمنعك من السقوط في الفراغ!

النص هنا لا يعمل كدليل، بل كدرع! لا يشرح، بل يحمي! لا يفتح الطريق، بل يغلقه عند نقطة مريحة!

وفي علم النفس، هذه ليست حالة شاذة أو استثنائية، بل آلية معروفة وعميقة! حين لا يستطيع العقل تحمّل القلق، لا يستمر في البحث... بل يبدأ بالبناء. يبني معنى... أي معنى!

ليس المهم أن يكون هذا المعنى صحيحاً، بل أن يكون مستقراً، أن يوقف الارتباك، أن يخفف التوتر، أن يمنح شعوراً مؤقتاً بالسيطرة!

وهنا تحديداً، يولد الإيمان؛ لا كإكتشاف، بل كحل! لا كنتيجة بحث، بل كاستجابة لحاجة داخلية ملحة!

وهذا ما يجعل نقده صعباً جداً، وربما مستفزاً إلى حد العنف أحياناً!  
لأنك لا تواجه فكرة مجردة، بل تقترب من الشيء الذي يمنع الإنسان من  
الانهيار!

ولهذا، حين تهتز الفكرة، لا يحدث نقاش! لا يجلس العقل ليفكر بهدوء؛  
بل يحدث شيء مختلف تماماً: نعر!

نعر قد يكون صامتاً، يظهر كتوتر داخلي أو رفض غير مبرر! وقد يكون  
صاخباً، يظهر كغضب، هجوم، أو دفاع شرس! لكن في كل الأحوال، هو  
ليس دفاعاً عن "الصواب"... بل عن "النجاة"!

وهنا، تبدأ الصورة بالاتضح أكثر!

الإيمان، في كثير من الأحيان، ليس اختياراً واعياً كما نحب أن نعتقد،  
بل استجابة تلقائية! رد فعل نفسي عميق أمام قلق لا نعرف كيف  
نواجهه مباشرة!

ولهذا، لا يُقاس بقوته المنطقية، بل بقدرته على تهدئة القلق! كلما كان أكثر قدرة على إسكات الخوف، كان أكثر جاذبية، وأكثر ثباتاً!

وكلما كان القلق أعمق... كان الإيمان أكثر صلابة!

ليس لأنه أقرب إلى الحقيقة... بل لأنه أبعد عن الشك!

وهنا، تتكشف المفارقة القاسية التي لا يحب أحد مواجهتها:

أن ما نسميه "يقيناً"...

قد لا يكون نتيجة فهم عميق...

بل نتيجة هروب ناجح!

هروب متقن، مستقر، ومقنع إلى درجة... أنه لم يعد يبدو كونه هروباً أصلاً!

## إدمان اليقين!

هناك فرق هائل بين أن تؤمن بشيء... وأن تحتاج أن تؤمن به! الفرق لا يبدو واضحاً في البداية، لكنه في الحقيقة يحدد كل شيء! في الحالة الأولى، أنت تملك الفكرة! تستطيع أن تراجعها، أن تغيرها، أن تتخلى عنها إن لزم الأمر! أما في الحالة الثانية... فالفكرة هي التي تملكك!

وهنا، يتحول الإيمان من موقف فكري إلى حالة نفسية عميقة! من قناعة إلى اعتماد! من خيار إلى ضرورة! ومن هنا يبدأ الإدمان!

الإدمان لا يعني فقط التعلق، بل يعني أن يصبح الشيء جزءاً من توازنك الداخلي! أن يتحول إلى عنصر لا غنى عنه في استقرارك النفسي! بحيث أن فقدانه لا يترك فراغاً بسيطاً... بل يخلق خلاً، ارتباكاً، وربما انهياراً!

وهذا بالضبط ما يحدث مع اليقين! الإنسان لا يتمسك به لأنه تأكد من صحته بشكل نهائي، بل لأنه لا يعلم كيف يعيش بدونه! هو لا يدافع عنه لأنه مقتنع تماماً، بل لأنه خائف مما سيحدث لو تخلى عنه!

وهنا، نفهم سلوكاً يبدو متناقضاً للوهلة الأولى: لماذا يعود الإنسان إلى نفس الأفكار حتى بعد أن يشك بها؟!

يشك... يتراجع قليلاً... يرى بعض التناقضات... ثم، فجأة، يعود! يعود بسرعة، أحياناً دون أن يناقش، دون أن يحسم، دون أن يواجه ما اكتشفه!

ليس لأنه وجدها صحيحة... بل لأنه لم يجد بديلاً يهدئه!

وهذا هو جوهر الإدمان: الهروب من الألم، لا البحث عن الحقيقة! العودة ليست نتيجة اقتناع... بل نتيجة حاجة!

وهنا، يصبح الشك تجربة خطيرة جداً، ليس لأنه يقود إلى الخطأ، بل لأنه يفتح باباً لا يعرف الإنسان كيف يغلقه!

باب الأسئلة التي لا تنتهي؛

باب الفراغ الذي لا يُحتمل؛

باب الاحتمالات التي تُربك أكثر مما تفسّر!

ولهذا، كثيرون يقتربون من هذا الباب... ثم يتراجعون بسرعة! كما لو أنهم لمسوا شيئاً حارقاً. لا لأنهم لم يفهموا، بل لأنهم فهموا أكثر مما يستطيعون تحمّله!

يعودون إلى اليقين... لا كاختيار حر، بل كنجاة! كعودة إلى مكان  
مألوف، حتى لو كان ضيقاً، لأنه على الأقل... مستقر!

وهنا، لا يعود الإيمان موقفاً فكرياً يمكن نقاشه بسهولة، بل يصبح  
حاجة تكاد تكون بيولوجية! شيء يحافظ على توازنهم الداخلي، على  
قدرتهم على الاستمرار!

ولهذا، لا يمكنك أن "تسحب" الإيمان من إنسان كما تسحب فكرة عابرة!  
لأنك لا تأخذ منه رأياً فقط... بل تأخذ منه وسيلة تحمّل!

تأخذ منه ما كان يساعده على مواجهة القلق، على تفسير العالم، على  
الاستمرار دون أن ينهار!

وهنا، يصبح السؤال أكثر خطورة، وأكثر صدقاً في الوقت نفسه:

إذا كان الإيمان يهدّي الألم...

فهل الحقيقة دائماً تستحق هذا الألم؟!

هذا السؤال لا يُطرح كثيراً! ليس لأنه غير مهم، بل لأنه مرعب! لأنه يضع الإنسان أمام خيار لا يمكن تجميله:

الراحة... أم الصدق؟!

أن تعيش مطمئناً داخل فكرة قد لا تكون صحيحة...  
أم أن تواجه واقعاً مفتوحاً، قاسياً، بلا ضمانات؟!

ومن هنا تبدأ المأساة الحقيقية! ليس لأن الإنسان يختار الخطأ... بل لأنه، في كثير من الأحيان، لا يملك رفاهية الاختيار أصلاً!

## من الفرد إلى القطيع!

الفكرة، حين تكون ضعيفة، تحتاج إلى عقل يدافع عنها! تحتاج إلى من يشرحها، يبررها، يحاول أن يقنع الآخرين بها! لكن المفارقة تبدأ حين تكبر هذه الفكرة، حين تنتقل من رأس إلى آخر، ومن فرد إلى جماعة! عندها، لا تعود بحاجة إلى عقل... بل إلى جدار!

وهذا ما يحدث تماماً! الإيمان، في بدايته، يكون تجربة فردية مرتبكة: سؤال، قلق، محاولة فهم. لحظة شخصية جداً، مليئة بالتردد، بالبحث، بالشك! لكن هذه الحالة لا تدوم طويلاً! سرعان ما يُنتزع الإيمان من الفرد، ويُسلم إلى الجماعة!

وهنا، يتغير كل شيء!

ما كان قابلاً للنقاش، يصبح خطأً أحمر. وما كان احتمالاً، يتحول إلى "حقيقة مشتركة"! لم يعد الأمر متعلقاً بما إذا كانت الفكرة صحيحة أم لا، بل بمدى توافقها مع الجماعة التي تنتمي إليها!

ولأن الإنسان، في جوهره، كائن يخاف العزلة أكثر مما يخاف الخطأ، فإنه مستعد أن يدفع ثمناً غريباً: أن يكون مخطئاً مع الجميع... بدل أن يكون وحده مع الحقيقة!

وهنا يولد القطيع! ليس كشتيمة، بل كحالة نفسية جماعية عميقة! حالة  
تُعيد تشكيل الفرد من الداخل دون أن يشعر! حيث تتكرر الفكرة حتى  
تفقد غرابتها، وتُعاد حتى تبدو بديهية، وتُقَال حتى تتحول إلى شيء لا  
يحتاج إلى إثبات!

ومع التكرار، لا تزداد الفكرة صحة... بل تزداد أماناً!  
ويُعاقب من يخرج عنها، لا لأنه أخطأ، بل لأنه كسر الإيقاع! لأنه تجرأ  
على إدخال نغمة مختلفة في لحن جماعي يريد أن يبقى متماسكاً!

الجماعة لا ترفض الشك لأنه خاطئ، بل لأنه مُعدٍ! لأن سؤالاً واحداً  
صادقاً قد يفتح باباً لا يمكن إغلاقه بسهولة! قد ينتشر كعدوى، يهزُّ  
استقراراً بُني على التكرار، لا على الفهم!

ولهذا، يتم القضاء عليه بسرعة! ليس عبر النقاش، بل عبر الإقصاء،  
السخرية، أو التخويف! المهم أن لا يتحول إلى نمط، أن لا يصبح الشك  
سلوكاً طبيعياً!

وهنا، لا يعود الإيمان مجرد قناعة شخصية، بل يتحول إلى انتماء! إلى هوية مشتركة، إلى لغة يتحدث بها الجميع، إلى شعور بالأمان لا يأتي من الفكرة نفسها... بل من عدد الذين يشاركونك فيها!

ومن يخرج عن هذا الإطار، لا يفقد فكرة فقط! لا يخسر رأياً يمكن تعويضه! بل يفقد جماعة، يفقد لغة، يفقد شبكة كاملة من المعنى والانتماء!

يفقد ذلك الإحساس العميق بأنه "ليس وحده"!

وهذا الثمن، بالنسبة لكثيرين، أكبر من أن يُدفع! ليس لأن الحقيقة غير مهمة، بل لأن الوحدة... أكثر قسوة مما يمكن تحمّله بسهولة!

وهنا، يصبح البقاء داخل القطيع، ليس دليل قناعة... بل أحياناً، شكلاً من أشكال النجاة!

## إعادة تعريف الأخلاق!

هنا، لا يتم فقط حماية الفكرة، بل يحدث شيء أعمق بكثير: إعادة تشكيل الإنسان نفسه! ليس عبر القمع المباشر، بل عبر إعادة تعريف المعايير التي يقيس بها نفسه والعالم!

داخل المنظومات المغلقة، لا تبقى القيم كما هي! لا تُلغى صراحةً، بل يُعاد ترتيبها بهدوء، بحيث تخدم الاستقرار أولاً، لا الحقيقة! وهنا يبدأ الانقلاب الحقيقي، لكن دون إعلان!

الطاعة تتحول إلى فضيلة، ليس لأنها صحيحة، بل لأنها تضمن الهدوء! التكرار يصبح يقيناً، ليس لأنه دليل، بل لأنه مألوف! والتسليم يُعاد تقديمه كحكمة، لا كتنازل!

في المقابل، يُعاد تعريف كل ما يهدد هذا التوازن! الشك لا يُنظر إليه كأداة معرفة، بل كضعف! السؤال لا يُفهم كبحت، بل كوقاحة! أما التفكير، فيُصنّف كخطر يجب احتواؤه قبل أن يتوسع!

أي انقلاب هذا؟!

أن يكافأ الإنسان على توقفه، ويُعاقب على حركته! أن يُمدح لأنه لم يسأل، ويُذم لأنه حاول أن يفهم! أن يصبح الصمت دليل نضج، والفضول علامة خلل!

وهنا، لا يُطلب من الإنسان أن يكون صادقاً مع نفسه، بل أن يكون "مطيعاً بشكل جميل"! أن يتقن التكيف، لا أن يبحث عن الحقيقة! أن يبدو منسجماً، لا أن يكون صادقاً!

وهذا أخطر من الكذب! لأن الكاذب، في أعماقه، يعرف أنه يكذب! هناك فجوة بين ما يقوله وما يدركه! أما المطيع، فقد أُغلقت هذه الفجوة داخله! هو لا يشعر بالتناقض، بل يعتقد أنه يفعل الصواب!

وهنا، لا يعود الصراع بين "صحيح وخطأ"، بل يتحول إلى شيء أكثر ضيقاً: مسموح وممنوع! والفرق بينهما هائل!

الصحيح يمكن أن يُناقش، أن يُفحص، أن يُراجع! أما الممنوع، فلا يُلمس! ليس لأنه قوي، بل لأنه محمي! ليس لأنه مقنع، بل لأنه محاط بالخوف!

وهكذا، تتحول الأخلاق من رحلة بحث عن الخير، إلى نظام ضبط! من سؤال مفتوح إلى قائمة تعليمات! لا تعود تسأل: ما الحقيقة؟! بل: ما الذي يجب أن أوّمن به... لأبقى داخل الجماعة؟!

وهنا، لا يُقاس الإنسان بقدرته على الفهم، بل بقدرته على الامتثال! لا بجرأته على السؤال، بل بقدرته على الصمت!

وفي هذه اللحظة، لا يعود الانحراف عن الفكرة خطأً فكرياً... بل يصبح خطيئة اجتماعية!

وهنا تحديداً، تكتمل الدائرة: لا يُقمع الإنسان من الخارج فقط... بل يبدأ بقمع نفسه من الداخل، باسم الأخلاق!

## حين يصبح النص هوية!

هنا ندخل أخطر مرحلة؛ مرحلة لا يعود فيها الإيمان فكرة يمكن النظر إليها من الخارج، بل يتحول إلى شيء أعمق بكثير... إلى جزء منك!

حين لا يعود النص شيئاً تقرأه... بل شيئاً تعيشه! لا يعود رأياً تحمله... بل هوية تحملك! عندها، لا تبقى المسافة موجودة بينك وبين ما تؤمن به! تختفي الحدود، وتبدأ عملية اندماج صامتة، لكن عميقة جداً!

هويتك، تعريفك لنفسك، شعورك بقيمتك... كلها تبدأ بالارتباط بما تؤمن به! لا تقول: أنا أؤمن بهذه الفكرة... بل تقول، دون أن تشعر: أنا هذه الفكرة!

وهنا يحدث التحول الكبير، التحول الذي يغير كل شيء دون أن يبدو وكأنه تغير!

أي نقد للفكرة... لا يفهم كتحليل، ولا كناقش، بل يُترجم فوراً كتهديد لك أنت! ليس لأن الفكرة صحيحة بشكل مطلق، بل لأنها لم تعد منفصلة عنك! لأنها أصبحت جزءاً من بنيتك النفسية، من صورتك عن نفسك، من توازنك الداخلي!

ولهذا، لا تكون ردود الفعل عقلانية! لا تُقاس بالحجج ولا تُدار بالأدلة! بل تكون دفاعية، حادة، وأحياناً عدوانية!

لأنك، ببساطة، لا تدافع عن "نص" ... أنت تدافع عن نفسك!

تدافع عن المعنى الذي تعيش داخله!

عن الإحساس بالأمان الذي يمنحك إياه!

عن الصورة التي كوَّنتها عن ذاتك عبره!

وهنا، ينتهي النقاش قبل أن يبدأ! ليس لأن الطرف الآخر لا يملك حجة، بل لأن المساحة التي يمكن أن يحدث فيها النقاش... لم تعد موجودة أصلاً!

لأنك لا تستطيع أن تطلب من إنسان أن يفكك فكرة، إذا كان يشعر أن تفكيكها يعني تفكيكه هو! لا يمكنك أن تقول له: انظر إليها من الخارج، وهو لا يعرف كيف يخرج منها أصلاً!

وهذا ما يجعل الحوار مع الإيمان العميق صعباً جداً! ليس لأنه قوي منطقياً، ولا لأنه محكم من حيث الأدلة، بل لأنه متجذّر نفسياً!

هو ليس فكرة تقف في العقل... بل بنية تمتد داخل النفس، تتشابك مع  
الخوف، مع الحاجة، مع الانتماء، مع الإحساس بالقيمة!

ولهذا، كثيرون لا يرفضون الأسئلة لأنهم مقتنعون بخطئها، بل لأنهم  
يخافون منها! يخافون مما قد تفتحه، لا مما تقوله!

لأن السؤال، في هذه الحالة، لا يكون مجرد استفهام... بل يكون باباً؛ باباً  
قد يؤدي إلى زعزعة كل شيء، إلى كشف ما كان مخفياً، إلى إعادة  
النظر في كل ما تم بناؤه!

وهنا تكمن المشكلة الحقيقية؛ ليس في السؤال نفسه... بل في ما قد  
يجرّه خلفه!

لأن بعض الأبواب، حين تُفتح... لا يمكن إغلاقها بسهولة!  
وبعض الأسئلة، حين تُطرح بصدق... لا يمكن تجاهلها بعد ذلك أبداً!

ولهذا، لا يكون الرفض دائماً موقفاً فكرياً... بل يكون، في كثير من  
الأحيان، محاولة للبقاء متماسكاً!

## الجنون الذي نسميه يقيناً!

هنا نصل إلى السؤال الذي لا يُطرح عادةً! ليس لأنه غير مهم، بل لأنه خطيراً! لأنه لا يهدد فكرة بعينها... بل يهدد الطريقة التي نفهم بها "الطبيعي" أصلاً!

ما هو الجنون؟!

هل هو أن تؤمن بفكرة بلا دليل؟! أم أن تفعل ذلك... مع ملايين غيرك؟!

السؤال يبدو بسيطاً، لكنه يحمل في داخله شقاً عميقاً! لأننا، في الغالب، لا نعرّف الجنون بناءً على الفكرة نفسها، بل بناءً على عدد من يشاركونك فيها! المجتمع لا يقيس الحقيقة... بل يقيس التكرار!

ما يفعله فرد واحد قد يُسمّى خلافاً، انحرافاً، أو حتى مرضاً! لكن إن فعله الجميع... يتحول فجأة إلى "طبيعي"! لا لأن الفكرة تغيرت، بل لأن العدد تغير!

وهنا تبدأ المشكلة الحقيقية!

لا يُقاس الصواب بالحقيقة، بل بالعدد! لا يُسأل: هل هذا صحيح؟! بل:  
كم شخصاً يؤمن به؟!

وكلما كبرت الجماعة، أصبح الخطأ أكثر أماناً، ليس لأنه أقل خطأً، بل  
لأنه محمي أكثر! لأنك، ببساطة، لا تستطيع أن تتهم الجميع بالوهم...  
حتى لو كان ذلك هو الاحتمال الأقرب!

وهنا، يتحول اليقين الجماعي إلى شيء لا يُمس! ليس لأنه صلب  
منطقياً، بل لأنه محاط بطبقات من الحماية الاجتماعية والنفسية! هو  
ليس فكرة فقط... بل شبكة كاملة من التواطؤ غير المعلن!

لكن الحقيقة لا تتغير بالتصويت! لا تصبح الفكرة صحيحة لأن الأغلبية  
تؤمن بها، ولا تصبح خاطئة لأن القلة تلمسك بها! الحقيقة لا تهتم  
بالأعداد... لكنها تُدفن تحتها بسهولة!

وهنا، تظهر الفكرة الأكثر إزعاجاً، تلك التي يحاول العقل تجنبها بأي  
شكل:

هل يمكن أن يكون ما نعتبره "إيماناً طبيعياً"... شكلاً من أشكال  
الهوس المنظمة؟!

ليس هلوسة فردية، يمكن ملاحظتها وعلاجها، بل هلوسة جماعية، يتم تداولها، تكرارها، وتعزيزها حتى تصبح جزءاً من الواقع المقبول!

هل يمكن أن تكون الفكرة مقبولة... فقط لأنها مشتركة؟! ليس لأنها صادقة، بل لأنها مكررة، لأنها مألوفة، لأنها محمية بعدد من يؤمنون بها!

هذه الأسئلة لا تُطرح كثيراً! ليس لأنها بلا معنى، بل لأنها خطيرة إلى حد لا يُحتمل. لأنها لا تهدد الفكرة فقط... بل تهدد كل ما بُني عليها: الهوية، الأخلاق، الانتماء، وحتى الشعور بالاستقرار!

لأنك، حين تبدأ بالتشكيك في "الطبيعي"، لا تعود تعلم أين تقف!

وهنا، يعود الإنسان إلى نقطة البداية... لكن بوعي مختلف!

لم يعد السؤال: ماذا أو من؟! بل أصبح: لماذا أو من... هكذا؟!

لماذا هذه الفكرة بالذات؟!

لماذا بهذه القوة؟!

ولماذا أشعر أنها "بديهية"... فقط لأنها محيطة بي من كل اتجاه؟!

ومن هنا... تبدأ أخطر مرحلة في الرحلة! ليس لأنها تقود إلى إجابات واضحة، بل لأنها تسحب منك الأرض التي كنت تقف عليها دون أن تشعر!

مرحلة لا تعدُّك بالراحة... لكنها، على الأقل، تمنحك شيئاً نادراً: أن ترى، ولو للحظة، خارج ما اعتدت أن تسميه "حقيقة"!

## لحظة الشك!

الشك لا يأتي كفكرة واضحة يمكن الإمساك بها بسهولة، بل كارتباك! لا يعلن عن نفسه، لا يطرق الباب، بل يتسلل بهدوء، كشيء صغير لا يبدو مهماً في البداية، لكنه يحمل في داخله كل شيء!

قد يبدأ بسؤال بسيط، تفصيلاً صغيرة، تناقض لم يكن واضحاً من قبل. شيء يكاد يكون غير مرئي، يمكن تجاهله بسهولة، بل قد يتم تجاهله فعلاً في البداية! لأن العقل، بطبيعته، لا يحب ما يربكه!

لكن المشكلة في الشك... أنه لا يختفي! يبقى هناك، في الخلفية، هادئاً، صامتاً، لكنه حاضر! لا يضغط مباشرة، بل ينتظر؛ ينتظر اللحظة التي يبدأ فيها التوازن بالاهتزاز!

وهنا يبدأ التوتر! ليس لأن السؤال كبير أو معقد، بل لأن أثره عميق! لأن ما يهزه الشك ليس فكرة واحدة، بل البنية التي كانت تحملها!

تشعر بشيء غير مريح، ليس لأنك وجدت إجابة جديدة، بل لأن الإجابة القديمة لم تعد تعمل كما كانت! لم تعد تمنحك نفس الطمأنينة، نفس الثبات، نفس الإحساس بأن الأمور "مفهومة"!

وهنا، يدخل الإنسان في حالة غريبة جداً! حالة بين حالتين، لا هو قادر على الاستمرار بنفس اليقين، ولا هو قادر على تحمّل الفراغ الذي بدأ يظهر!

مرحلة بين بين، مربكة، ثقيلة، ومليئة بالقلق! مرحلة لا يمكن تعريفها بسهولة، لأنها ليست استقراراً، وليست انهياراً كاملاً! إنها شيء بينهما... وهذا ما يجعلها أكثر صعوبة!

وهذا ما لا يُقال عادةً: أن الشك ليس تحرراً مباشراً كما يُصور، بل صدمة! ليس فتحاً فورياً، بل تفكك تدريجي! انهيار بطيء لفكرة كانت تحملك، دون أن تعرف كيف تقف بدونها!

ولهذا، كثيرون يهربون في هذه اللحظة! لا لأنهم لم يفهموا، بل لأنهم فهموا أكثر مما يستطيعون تحمّله! لأنهم رأوا ما لم يكونوا مستعدين لرؤيته!

يعودون بسرعة إلى الإيمان، لا كقناعة جديدة، بل كملجأ! كعودة إلى مكان مألوف، حتى لو كان ضيقاً، لأنه على الأقل... مستقر!

وهنا، لا يكون الإيمان انتصاراً، بل انسحاباً؛ انسحاباً من مواجهة مفتوحة، إلى يقين مغلق! ليس لأنه صحيح، بل لأنه مريح!

لكن... ليس الجميع ينسحب!

هناك من يبقى! من يتحمل هذا الارتباك، هذا القلق، هذا الإحساس بأنه فقد شيئاً كبيراً دون أن يجد بديلاً جاهزاً!

وهنا تبدأ تجربة مختلفة تماماً، تجربة لا تشبه ما قبلها أبداً؛ تجربة الوقوف دون أرض!

أن تعيش دون إجابة نهائية، دون يقين جاهز، دون فكرة تقول لك: اطمئن، كل شيء مفهوم! أن تبقى في السؤال... دون أن تهرب إلى جواب سريع!

وهذا أصعب بكثير مما يبدو! ليس لأنه معقد فكرياً، بل لأنه مرهق نفسياً لأن الإنسان، ببساطة، لم يُدرَّب على هذا!

لم يُدرَّب على أن يعيش في سؤال مفتوح، على أن يقبل الغموض دون أن يغلقه، على أن يرى دون أن يختبئ خلف تفسير جاهز!

وهنا، يظهر الوجه الحقيقي للحرية! ليس كما يُرَوَّج لها، كراحة أو خفة،  
بل كشيء أثقل بكثير!

الحرية ليست طمأنينة... بل مسؤولية! ليست هدوءاً... بل مواجهة؛  
مواجهة مستمرة مع واقع لا يقدم إجابات نهائية!

وهنا، ينقسم الناس! ليس حسب الذكاء أو المعرفة، بل حسب القدرة على  
التحمل!

منهم من يختار العودة، إلى اليقين، إلى الراحة، إلى الإجابة الجاهزة!  
ومنهم من يختار الاستمرار، رغم القلق، رغم الفراغ، رغم كل شيء!  
ولكل خيار ثمن؛ ثمن لا يمكن تجنبه، ولا يمكن التفاوض عليه!  
إما أن تدفع ثمن الراحة... بالتنازل عن السؤال؛  
أو تدفع ثمن الصدق... بالعيش دون إجابة نهائية!

وهنا، لا توجد إجابة صحيحة للجميع... بل فقط طريق تختاره، وتحمل  
نتائجه!

## هل يمكن العيش بلا يقين؟!

السؤال هنا ليس فلسفياً فقط، بل وجودياً بكل ما تحمله الكلمة من ثقل!  
ليس سؤالاً يُطرح في الكتب ثم يُغلق، بل سؤال يلامس طريقة عيشك  
نفسها، الطريقة التي تقف بها داخل هذا العالم!

هل يمكن للإنسان أن يعيش دون أن يعلّق نفسه على فكرة نهائية؟! دون  
أن يحتاج إلى نقطة يقول عندها: هنا انتهى كل شيء... هذه هي  
الحقيقة؟!

الإجابة ليست سهلة، ولا مريحة، وربما ليست واحدة أصلاً!

لأن العيش بلا يقين لا يعني فقط التخلي عن فكرة، بل يعني التخلي عن  
نوع كامل من الأمان! يعني أن تقبل أن العالم غير مكتمل، أن الواقع لا  
يقدم نفسه كقصة واضحة، وأن بعض الأسئلة قد تبقى مفتوحة إلى  
الأبد!

أن تعيش دون ضمانات، دون وعود، دون تلك السردية الجاهزة التي  
تشرح لك كل شيء وتضعك في مكان آمن داخلها! وهذا، بكل صراحة،  
مرعب!

مرعب لأن الإنسان، بطبيعته، لا يحب الفراغ! لا يحتمل الغموض طويلاً!  
يحتاج إلى شيء يمسك به، إلى معنى، حتى لو كان بسيطاً أو ناقصاً!

لكن... هناك شيء آخر أيضاً، شيء لا يظهر إلا حين يسقط اليقين!

هناك صدق!

لأنك، لأول مرة، لا تتظاهر بأنك تعرف! لا تختبئ خلف إجابة جاهزة، ولا  
تقنع نفسك بشيء فقط لأنه يريحك! لا تضطر أن تقول: "هذا هو  
التفسير"، فقط لكي تهدأ!

أنت ترى... كما هو!

عالم مفتوح، غير مكتمل، مليء بالاحتمالات! أحياناً واضح، وأحياناً  
غامض، وأحياناً بلا معنى واضح أصلاً!  
وهذا، رغم قسوته، حقيقي!

لكن لنكن صادقين... هذا الطريق ليس للجميع!

ليس لأن البعض أقل فهماً، بل لأن القدرة على تحمّل هذا النوع من العيش محدودة! البعض يحتاج إلى يقين ليعيش، يحتاج إلى فكرة ثابتة يستند إليها، إلى قصة تمنحه توازناً!

والبعض الآخر... يفضّل الوهم على الفراغ! ليس لأنه يحب الوهم، بل لأنه لا يحتمل الفراغ!

وهذا ليس ضعفاً دائماً، بل حدّاً نفسياً! نقطة يصل عندها الإنسان ويقول، بصمت: لا أستطيع أكثر من هذا!

لكن المشكلة لا تبدأ هنا!

المشكلة تبدأ حين يتحول هذا الاحتياج الشخصي إلى حقيقة مطلقة تُفرض على الجميع! حين لا يقول الإنسان: أنا أحتاج أن أؤمن... بل يقول: يجب أن تؤمن مثلي!

هنا، يتغير كل شيء!

يتحول الإيمان من ملجأ إلى سلطة، من حاجة داخلية إلى نظام خارجي، من خيار إلى قيد!

لم يعد وسيلة لحماية الذات، بل أداة لفرض رؤية على الآخرين. لم يعد شيئاً يخصك، بل أصبح معياراً يُقاس به الجميع!  
وهنا، لا يعود الصراع حول الحقيقة... بل حول الحرية!

حرية أن ترى بطريقتك، أن تشك بطريقتك، أن تعيش دون أن تُجبر على تبني يقين لا يشبهك!

وهذا هو الحد الفاصل الحقيقي! ليس بين مؤمن وغير مؤمن، بل بين من يرى الإيمان كخيار... ومن يراه كواجب على الجميع!

وهنا، يعود السؤال بشكل أكثر حدة:

هل يمكن العيش بلا يقين؟!

ربما نعم... لكن ليس دون ثمن!

ثمن الصدق...

ثمن القلق...

ثمن أن تعيش دون أن تختبئ!

وهذا الثمن... ليس بسيطاً أبداً!

## الإنسان بعد سقوط الأوهام!

في النهاية... لا يسقط النص وحده! لا تسقط فكرة محددة يمكن تعويضها بأخرى! ما يسقط فعلياً هو شيء أعمق بكثير: الإحساس بالأمان، الوضوح الذي كنت تتكىء عليه، والقصة التي كنت تعيش داخلها دون أن تشك أنها مجرد قصة!

يسقط كل ذلك دفعة واحدة، أو تدريجياً، لكن النتيجة واحدة: تبقى أنت... بلا غطاء!

بلا تلك الطبقة التي كانت تفصل بينك وبين الأسئلة، بلا ذلك الصوت الذي كان يفسر لك كل شيء ويمنحك شعوراً بأنك "تفهم"! وهنا، يظهر السؤال الحقيقي، السؤال الذي لا يمكن الهروب منه بعد الآن:

من أنت... دون كل هذا؟!

ليس ككائن يؤمن، ولا ككائن يكرر ما تعلمه، بل ككائن يرى؛ يرى دون وسيط، دون نص يختصر له العالم، دون يقين يحميه من مواجهة نفسه!

وهذا ليس نصراً سهلاً كما قد يبدو، ولا لحظة تحرر خفيفة كما تُصوّر  
أحياناً! بل هو ولادة مؤلمة! ولادة تخرج فيها من شيء كنت تظنه نفسك،  
لتكتشف أنه لم يكن سوى نسخة بنيت تحت الضغط، تحت الخوف،  
تحت الحاجة!

لأنك لا تخرج فقط من فكرة، بل تخرج من نسخة قديمة منك! نسخة كانت  
تحتاج، تخاف، وتتمسك بكل ما يمنحها شعوراً بالثبات!

والآن... لم يعد بإمكانها العودة كما كانت! ليس لأنك لا تريد، بل لأنك لم  
تعد قادراً على تصديقها بنفس الطريقة! شيء في الداخل انكسر، أو  
ربما... انكشف!

وهنا، لا يوجد احتفال! لا توجد لحظة انتصار كما يتخيل البعض! لا  
شعور بأنك "وصلت"! بل على العكس تماماً!  
هناك هدوء غريب، يشبه ما يأتي بعد العاصفة! وصدق ثقيل، لا يمكنك  
التهرب منه، لأنك أصبحت تراه بوضوح!

وهنا، يتغير السؤال بالكامل! لم يعد السؤال: ماذا ستؤمن؟! بل أصبح:  
هل تملك الشجاعة أن تعيش... دون أن تكذب على نفسك؟!

هل تستطيع أن تتحمل رؤية الأشياء كما هي، دون تزيين، دون اختصار،  
دون أن تختبئ خلف إجابة جاهزة؟!

وهذا هو الامتحان الحقيقي!

ليس امتحان المعرفة، لأن المعرفة يمكن جمعها! وليس امتحان الذكاء، لأن  
الذكاء يمكن استخدامه لتبرير أي شيء!

بل امتحان الصدق!

صدقك مع نفسك، مع ما تراه، مع ما تشعر به، حتى حين يكون غير  
مريح، غير مكتمل، أو حتى مخيف!

وهنا، لا توجد منطقة وسطى مريحة! لا يمكنك أن ترى ثم تعود كما  
كنت! لا يمكنك أن تعرف ثم تتجاهل!

إما أن تختار الراحة، أن تعود إلى القصة، إلى اليقين، إلى ذلك المكان  
الذي يهدئك حتى لو لم يكن صادقاً تماماً...

أو تختار أن ترى، أن تبقى في هذا الانكشاف، في هذا الوضوح  
القاسي، في هذا الصدق الذي لا يقدم لك عزاءً سريعاً!

وفي الحالين... ستدفع الثمن!

ثمن الراحة... أن تغض الطرف؛

و ثمن الصدق... أن تعيش دون غطاء!

وهنا فقط... يبدأ الإنسان الحقيقي بالظهور! ليس كما أُريد له أن يكون،

بل كما هو... حين لا يبقى شيء يختبئ خلفه!

هنا...عزيزي القارىء، لا يوجد ما يُقال أكثر!

ليس لأن كل شيء أصبح واضحاً...

بل لأن الوضوح نفسه لم يعد كما كان!

ربما شعرت بشيء... ولم تفهمه!

ربما مرّت عليك جمل... ولم تتوقف عندها!

ربما قلت في داخلك: "فهمت"... فقط لتكمل!

لكن... هل فعلاً فهمت؟!

أم أنك فعلت ما تفعله دائماً...

مررت... لتصل؟!

هذه النصوص... لا تُقرأ بهذه الطريقة!

هي لا تُعطيك فكرة لتأخذها وتمضي...

بل تترك في مكان غير مريح... ثم تنسحب!

وإن لم تشعر بعدم الارتياح...

فإما أنك لم تصل...

أو أنك لم تتوقف!

اقرأ مرة أخرى!

ليس لأنك لم تفهم...

بل لأنك استعجلت!

اقرأ... ببطء هذه المرة!

بهذوء... لا يشبه طريقتك المعتادة!  
بدون دفاع... وبدون تلك الحاجة القديمة إلى أن "تصل"!  
دع كل جملة تأخذ وقتها... حتى لو أزعجتك!  
حتى لو أربكتك!  
حتى لو شعرت أنك لا تريد أن تكمل!  
لأن المشكلة... ليست في ما قرأت!  
المشكلة... في السرعة التي مررت بها عليه!  
وكل كلمة لم تتوقف عندها...  
قد تكون أخطر مما ظننت!  
وهنا... لا أطلب منك أن تصدق!  
ولا أن تغير!  
ولا حتى أن تقتنع!  
فقط... أن لا تهرب!  
اقرأ مرة أخرى...  
لكن هذه المرة، لا تمر!  
بل... انظر!  
وإن استطعت...  
تحمل ما ستري!